ISSN: 1999-5601 (Print) 2663-5836 (online)

Lark Journal

Available online at: https://lark.uowasit.edu.iq

*Corresponding author:

Dr. Shaima Abdul-Hussein Al-Hijami
University: University of Kufa
College: College of Urban Planning
Email:
shaymaaa.alhachamy@uokufa.edu.iq

Keywords:
Areas, of poor, speech, correction

A R T I C L E I N F O

Article history:

Received	19 Mar 2022
Accepted	23 Apr 2022
Available online	1 July 2022

Linguistic and contextual counterpoint in the Holy Quran Surat Al-Araf and Thunder as a model

(counterpoint, linguistic and contextual, in Quran)

A B S T R U C T

The Holy Quran system is built Generally on counterpoint, been described as a rhetorical phenomenon containing a system built on Promotion of Virtue and Prevention of Vice, promoting faith and warn of infidelity also been built on other meanings of Counterpoints and through that we can put this rhetorical art under the spot light for studying the Holy Quran but not only according to the prevailing concept, but also to include the iterative circuit that's built on Context in the meanings of Counterpoints, which means we are seeking to study and knowing the iterative circuit from a different point of view that might be different than the one we used to before.

And this research took a new path to achieve this conceptwith regards to the words and their ways also the rhetorical phenomenon that these contexts have different meanings which is been expanded by the language and grammar researchers, as for our current research is putting a specific meaning for the word which leads the human brain to automatically recall for the counterpoint meaning word through a specific Pronunciation or through a whole context in a verse of the Holy Quran; This research is built upon two different level of counterpoints and they are:

-Language Counterpoint

-Context Counterpoint: which is built upon analytic description for the meaning of counterpoint in surah Al-A'raf and Surah Al-Ra'ad as an example from the holy Quran

That's why the researcher showed interest insurah Al-A'raf and Surah Al-Ra'ad for those two Surah have shown the counterpoints a lot in them, in surah Al-Ra'ad it has been used fifty times and surah Al-A'raf is been used eighteen times which makes for a worth study case.

© 2022 LARK, College of Art, Wasit University

DOI: https://doi.org/10.31185/

الطباق اللغوي والسياقي في القران الكريم
سورة الأعراف والرعد انموذجاً
(الطباق، اللغوي والسياقي ، في القران)

ا.م.د.شيماء عبد الحسين إبراهيم الحجامي / جامعة الكوفة / كلية التخطيط العمراني

الخلاصة:

من نافلة القول أن القران الكريم يقوم نظمه بصورة عامة على الطباق ؛ لكونه ظاهرة بلاغية تشتمل على نظم قائمة على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ويوصي بالإيمان ، ويحذر من الكفر وغيرها من المعاني القائمة على التضاد ، ومن خلال ذلك يمكن تسليط الضوء على هذا الفن البلاغي في دراسة القران الكريم ، ولكن ليس وفق المفهوم السائد للطباق ، وإنما يشتمل على الدائرة التكرارية القائمة على السياق في معاني الطباق ، بمعنى أننا نسعى من وراء ذلك إلى دراسة ومعرفة معاني الدائرة التكرارية السياقية من وجهة نظر قد تكون مختلفة عما سبق ؛ لكوننا نسعى إلى التوصل إلى معنى خاص بمعاني الألفاظ على ما هو خاص بالسياق .

وقد اخذ البحث طريقه لتحقيق هذه الغاية عبر البحث عن سبل تحقيق هذا المفهوم بما في ذلك ما يختص بالألفاظ ، والأساليب ، والظواهر اللغوية على أن هذه السبل لها معانٍ متعددة توسع بها أهل اللغة والنحو ، أما بحثنا هذا فيسلط الضوء على معنى للفظة معينة التي تستدعي في الذهن تلقائياً إلى المعنى المضاد لها من خلال لفظة بعينها أو من خلال سياق كامل في النص القرآني ؛ وذلك لان القران الكريم لا يمكن تفسيره نظراً لألفاظه فقط من دون الرجوع والاستعانة بالعلوم المتعلقة بالبلاغة والنحو من جهة ، والاهتمام بتركيبه وأساليبه من جهة أخرى ، وقد اخذ البحث على عاتقه إفراز القيمة البلاغية لفن الطباق لا سيما اللغوي منه المتمثل بتقابل الألفاظ ، والسياقي الذي يستنبط من خلال التركيز في المعاني المتضادة التي يحددها السياق بشكل كامل في الآيات الكريمة وما يولده ذلك من تأثير في المتلقي من خلال الإضاءة الدلالية المتكونة جراء المعاني .

المقـــــدمة

من الأمور المسلم بها أن القران الكريم يقوم نظمه بصورة عامة على الطباق ، بوصفه ظاهرة بلاغية تشتمل على نظم قائمة على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ويوصي بالإيمان ، ويحذر من الكفر وغيرها من المعاني القائمة على التضاد ، ومن خلال ذلك يمكن التركيز على هذا الفن البلاغي لدراسة القران الكريم ، ولكن ليس وفق المفهوم السائد للطباق ، وإنما يشتمل على الدائرة التكرارية القائمة على السياق في معاني الطباق ، بمعنى أننا نسعى من وراء ذلك إلى دراسة ومعرفة معاني الدائرة التكرارية السياقية من وجهة نظر

قد تكون مختلفة عما سبق ؛ لكوننا نسعى إلى التوصل إلى معنى خاص بمعاني الألفاظ على ما هو خاص بالسياق .

وقد اخذ البحث طريقه لتحقيق هذه الغاية عبر البحث عن سبل تحقيق هذا المفهوم بما في ذلك ما يختص بالألفاظ ، والأساليب ، والظواهر اللغوية على أن هذه السبل لها معانٍ متعددة توسع بها أهل اللغة والنحو ، أما بحثنا هذا فيسلط الضوء على معنى للفظة معينة التي تستدعي في الذهن تلقائياً إلى المعنى المضاد لها من خلال لفظة بعينها أو من خلال سياق كامل في النص القرآني ؛ وذلك لان القران الكريم لا يمكن تفسيره نظراً لألفاظه فقط من دون الرجوع والاستعانة بالعلوم المتعلقة بالبلاغة والنحو من جهة ، والاهتمام بتركيبه وأساليبه من جهة أخرى ، ومن الجدير بالذكر أن البحث يقوم على مستويين من الطباق وهما :

- الطباق اللغوي
- الطباق السياقي : القائم على الدراسة الوصفية والتحليلية للمعاني المتضادة في سورتي الرعد والأعراف كإنموذج من القران الكريم .

ولهذا اهتم البحث لدراسته في سورتي الأعراف والرعد ؛ لكونه ورد في هاتين السورتين بكثرة ، إذ ورد في الأولى في خمسين موضع ، وفي الثانية في ثمان عشرة موضع حتى شكل ظاهرة تستحق الدرس .

حد الطباق

من الجدير بالذكر أنَّ الطباق يقوم على المعاني التي بات من المعلوم لدى القدماء إن لهذه المعاني مستويات فقالوا بـ ((المعنى ، ومعنى المعنى ، التي تعنى بالمعنى المفهوم من ظاهر اللفظ ، والذي تصل إليه من دون واسطة ، وبمعنى المعنى الذي تعقل من اللفظ معنى ثم يفضي بك ذلك المعنى إلى معنى آخر)) (الجرجاني :1984:263) . والطباق لون من ألوان البديع الذي يقف مُسانداً إزاء الألوان البيانية في رسم الصورة لما يحققهُ من إثارة ((لمشاعر ثرية تتصل بالصورة العامة للموقف)) (العسكري : د.ت :297) . الأمر الذي جعل علماء البلاغة يعدونهُ من المحسنات البديعية ، وقد سماهُ قدامة التكافؤ إذ إن البلاغة وفنونها قادرة على تجديد نفسها من خلال كشفها للدلالات ، والوقوف على شبكة العلاقات في النصوص ، سواء أكانت هذه العلاقات متجددة أم ساكنة ، فهي لا تركن إلى الثبات على معنى واحد ، وإنما تبحث عن المزيد من المعاني العميقة التي يخفيها التشكيل اللفظي فضلاً عن ذلك فان البلاغة تمارس التحاور بين دلالات النصوص ، وهذا التحاور يجعل ذهن المتلقي في حالة تهيؤ لاستقبال كل غريب في مفهوم النص ، زد على ذلك إنها تضفي على النص حالة تلاحم بين فعل النص الذاتي وفعله الخارجي فضلاً عن إسهامها في بناء خلية لغوية حية داخل كل نص أدبي ، بحيث تفتح آفاق على ما حولها لكي تولد تشكيلاً لفظياً ومعنوياً ، وهذا التشكيل يأخذ

على عاتقه دوراً في التأثير والانسجام بين حرية النص ، وحرية الدلالات المتولدة منه ، فضلاً عن ذلك فإن البلاغة وفنونها علم من علوم جودة التعبير ، وما الأسلوبية إلا امتداداً للبلاغة التي سعت إلى إثراء الرصيد المعرفي للجملة من خلال إرسال إشعاعاتها التأثيرية في عقلية المتلقي ؛ ولهذا تبقى البلاغة وعلومها فناً للكتابة ، وطريقاً للتأليف ووسيلة أسلوبية تعبيرية للفن اللغوي المتشح بالجمالية ، وعليه فالكتابة عنها والولوج في علومها في حقيقة الأمر رصد لعناصر الجودة والتفكير في المعيارية لجمالية اللغة .

إن الفنون البلاغية برمتها تحمل قوة تؤثر في المتلقي ، فضلاً عن أنها أداة نقدية تتبنى تقويم

النص وأساليبه ، ومن هذه الفنون : البديع الذي عده معظم الدارسين انه مجرد محسنات لفظية ومعنوية ، ولا مكانة له في التأثير والكشف على مستوى المعاني وسياق النص ، والبحث يرى غير ذلك إذ أنه يسهم في كشف المعاني .

والطباق احد فنون البديع الذي بالغ الدارسون في تعريفه وتقسيمه ، وهو يضفي على النص جمالاً وحسناً ، فضلاً عن روعته في إفادة المعنى ومداعبة مشاعر المتلقي من خلال التباين الدلالي والاختراق الذهني الذي توله الدلالات المخزونة في ألفاظه ، إذ يخلق لنا نصاً مفتوحاً الذي عبر عنه الغذامي ((هو الذي يحفز القارئ لكي يعيد كتابته ، إذ انه يستفزه ويقلب عوالمه)) (الغذامي : 1994: 78، وظ: القرشي:2009:34) . وبذلك نستطيع القول : إن السلطة الأسلوبية والدلالية للطباق تنبثق من سياق التركيب في الجملة .

ومما تجدر إليه الإشارة أن الطباق لونٌ من ألوان التكرار الدلالي؛ لكونه ((تصنيف ثنائي لعالم على أساس من خصائص دلالية تبرز الفرق أو التضاد وتؤكده بعمق))(الطرابلسي:1981: 98-102) . وقد أفضت هذه الثنائية المتضادة أن يعيش الكاتب في حالة تضاد نفسي إكتنفت كيانهُ في تجربته اللغوية وقد جاء الطباق في السورتين على قسمين هما : (الطباق اللغوي ، والطباق السياقي) . وفي الأول تكون العلاقة إختيارية بين اللفظتين المتضادتين بحكم الوضع اللغوي ، أما في الثاني فتكون العلاقة في المتضادين توزيعية ، إذ يكون أساس التقابل ليس الوضع اللغوي وإنما يرجع إلى الأسلوب ، فضلاً عن ذلك فإن بعض الاستعمالات اللغوية لا يتجلى بها الطباق بمفهومه التقليدي ولكن السياق هو الذي يوحي بذلك الاستعمال ، ومما لاشك ((فيه أن مجموعة الأشكال البديعية ترتبط بعمق بالبعد التكراري الذي يتجلى عل مستوى السطح الصياغي ومستوى العمق الدلالي أي أن التكرار يمثل من جهة البنية العميقة ولا يمكن الوصول والتحقق من هذا الغرض إلا عند تتبع البنى البديعية في مستوييها السطحي ، والعميق))(عبد المطلب:1997: 239) .

أي أن التكرار يتحقق في التقابل الضدي من خلال تتبع عملية الحضور والغياب . فالطرف الحاضر على مستوى السطح يستدعي طرف غائب على مستوى العمق وبذلك تستكمل الدائرة التكرارية على النحو الآتي :

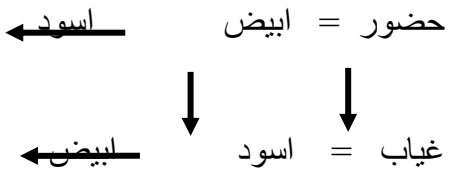

وهكذا تزداد طبيعة الدائرة التكرارية في الطباق ، وقد وصل السكاكي إلى علاقة التناسب بين المتقابلين أو المتضادين إلى درجة (التضايف) ؛ لكون الذهن ينزلها منزلة المتضايفين ويستحضر الضد على الفور قبل مجيء الطرف الآخر(ظ: السكاكي: د.ت :119 ، وظ : عبد المطلب : 1997 : 355-356) .

حد الطباق وأهميته اللغوية والفنية :

- **حد الطباق :**
- الطباق لغةً : التضاد : ضد الشيء خلافه ، وقد ضاده ، وهما متضادان ، يقال : ضادني فلان إذا خالفه (ابن منظور : مادة : ض د د) . والتضاد : أن يجمع بين المتضادين مع مراعاة التقابل (الجرجاني : 1938 :53) . وهنا تكمن الدائرة التكرارية له .

والتضاد مشتق من الأصل الثلاثي (ض د د) وهو من مفردات التقابل الذي يجري بين شيئين ، والضد خلاف الشيء (ابن السكيت : 1976 : 28) . وقد سماه كثير من البلاغيين بهذا الاسم فضلاً عن تسميته بالطباق والتكافؤ(ظ: الزركشي : 1980 : 455/3 ،وظ : السيوطي : د.ت: 344/3) .

- الطباق اصطلاحاً : هو الجمع بين اللفظين الدالين على المعنيين المتضادين حقيقةً أو تقريراً (ظ : الطيبي : 1986: 384) .
- وقد عُرف بالجمع بين ضدين مختلفين كالإيراد والإصدار ، والليل والنهار ، والسواد والبياض (ظ: الحلبي : 1980 : 199 ، وظ: العلوي :2007 : 413) .

ولعل ابن المعتز (ت 296 هـ) هو أول من سماه بالمطابقة ، وعده الثالث من فنون كتابة البديع (ظ: ابن المعتز: (د.ت) :36) . والباحثة ترى أن مصطلح المطابقة لا ينسجم مع المعنى المنتج ، وهذا ما ذكره ابن فارس (ت 395 هـ) بقوله : (المتضادان : الشيئان لا يجوز اجتماعهما في وقت واحد كالليل والنهار) (ابن فارس :1970: (ض د د)) . وأيده في ذلك ابن الأثير (ت 637 هـ) (ابن الأثير: 28/1358:2) . وجاء المدني (ت 1120 هـ) ليعزز هذا الرأي ، إذ قال : (قالوا : ولا مناسبة بين معنى المطابقة لغةً ومعناها

اصطلاحاً ، فإنها في اللغة الموافقة ، يقال : طابقت بين الشيئين إذا جعلت احدهما على حذو الآخر ، وطابق الفرس في جريه إذا وضع رجليه مكان يديشه ، والجمع بين الضدين ليس موافقة)(المدني : 1968: 233) . فضلاً عن عدم وجود أدنى مناسبة بين التسمية اللغوية والتسمية الاصطلاحية ؛ لكون المطابقة والطباق في اصطلاح رجال البديع هي : الجمع بين الضدين ، أو بين الشيء وضده (ظ : عتيق :2004: 59) . ومن هنا فإن مصطلح التضاد أكثر دلالة على هذا الفن ؛ لكون دلالته تنص على الخلاف (ظ : مطلوب : 1987: 254/2) . فالإيجاب ضد السلب ، والضد يقابله الضد ، إذن فالمتضادان لا يجتمعان ولا يتضادان ، ولعل اقرب تسمية للتضاد هي التقابل إذ يقول ابن سيده (ت 458 هـ)

((قابل الشيئ بالشيء مقابلة وقبضالاً عارضه – وتقابل القوم استقبل بعضهم بعضاً)) (ابن سيدة :1970: 263/6) .

- القيمة الفنية للطباق :

يبقى الطباق ظاهرة من الظواهر الأسلوبية مهما تعددت مسمياته ، وهذه الظاهرة تعتمد على الطريقة التي خرج منها النسق التركيبي في كشف العلاقات الدلالية والانفتاح على المعاني التداولية فضلاً عن أن مفهومه ودراسته يمثل الوقوف على آلية الحدس الفني والاستدلالي التي تربط الجمالية الفنية بمعادلها النفسي والموضوعي الذي يثير المتلقي ؛ ولذلك فإننا نجانب الصواب حين نعد الطباق دراسة لجمالية النصوص وحسب ؛ لأن من خلاله ((تبرز الأشياء وتتأكد المعاني ، ونجد لها إلى الوجدان سبيلاً ، فتثبت ويقر قرارها فالضد يُظهر حسنه الضد ، وبضدها تتميز الأشياء ، ويبدو تأثيرها)) (بسيوني : 2010 : 33) . بيد أن دراستنا للطباق ليس القصد منها توضيح مواضع هذا الفن البلاغي ، لكن القصد مواجهة القصد المتضمن للطباق بحيث تكشف لنا هذه المواجهة آفاقاً تمكننا من رؤية هذا الاتساع الذي أسهم الطباق في خلقه وتكوينه ، إذ أن كل نص يتألف من معنيين إذ بمجرد ذكر المعنى الأول يحيل أذهاننا إلى معرفة الضد له وهنا تكمن الدائرة التكرارية عند تصور العكس بالنسبة للمعنى المضاد الثاني ، فضلاً عن ذلك فأن الوقوف على المعنى الأول من دون معرفة الإشارات التي تدل على الثاني يجعل النص محصوراً في دائرة محدودة ، زد على ذلك أن قطع الترابط بين المعنيين يبعد النص عن أطر التماسك الثنائي الذي بواسطته نتمكن من التعرف على المعنى المتحرك ، فالنشاط الذي يصنعه الطباق ، ظاهرة صحية في التوسع الدلالي ، وفي قوة التأثير من خلال تحفيز المحركات الذهنية ، فضلاً عن النمو الذي يبدأ من جراء تعاكس المعاني .

فالطباق هو أحد أعمدة علم البديع وعليه المعول في ((توكيد وتقرير المعاني وتثبيتها في النفوس)) (م.ن : 336) .

فضلاً عن تزيين اللفظ ، وتحسين النظم والنثر وإظهار القيمة الجمالية التي تنشط الحركة التأولية للنص ، مضافاً إلى توليدة إيضاحية وإبانة في المفردات المتضادة في النسق المتضمن لهذه المفردات وعليه فإن بنية التشكيل المتضمن للطباق تكثف البحث الذهني عند القارئ لكي يقف على حدود المعنى العميق .

أقسام الطباق :

اعتاد الدارسون تقسيم الطباق إلى طباق (سلب وإيجاب) ، ولم يتطرق الكثير منهم إلى دراسته وبشكل تفصيلي من الناحية اللغوية والسياقية ، ومن هذا المنطلق فضل البحث الخوض في هذا التقسيم وعلى النحو الآتي :

- الطباق اللغوي :

تكون العلاقة في هذا الطباق إختيارية بين اللفظتين المتضادتين بحكم الوضع اللغوي ، وقد جاء في قوله تعالى : (ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ) (سورة الأعراف : 71) .

هذه التعددية في المعاني التي خلفها الطباق الاسمي تسبب اندهاشاً عند المتلقي لكثرة المعاني التي ذكرها المفسرون ، فقد جاء الرأي الأول (من بين أيديهم ومن خلفهم) يعني من دنياهم وآخرتهم ، ومن جهة حسناتهم وسيئاتهم .

أما الثاني معناه أزين لهم الدنيا وأخوفهم بالفقر ، وأقول لهم : لا توجد جنة ، ولا نار ، ولا بعث ، ولا حساب ، واشغلهم عن الحسنات ، وأحبب لهم السيئات .

وفسر قوله تعالى (من بين أيديهم) ، (وعن أيمانهم) من حيث يبصرون (ومن خلفهم)

(وعن شمائلهم) من حيث لا يبصرون ، وانفرد الرأي الرابع بالقول (وعن أيمانهم) إفساد أمر دينهم بتزيين الضلالة لهم ، (وعن شمائلهم) تحبيب اللذات إليهم

، وقد جاء طلب معنى النهاية معززاً بدخول (من) أما عن فقد أكدت الانحراف عن الجهة عندما اقترنت في اليمين والشمال (ظ : الطبرسي : 2005 : 228/4) .

وعليه إن الاندهاش الذي ولدته تعددية المعاني وأسهمت في حصوله أيضاً توازنات مصحوبة بنسق إيقاعي في مكونات النص لكي يرسخ مفهوم الخطاب القرآني في ذهن القارئ من خلال الوصول إلى المرحلة الاستكشافية للمفهوم الدلالي ، وعندئذٍ تتضح طرق ترصد الشيطان المختلفة ، وما سوف يفعله بسالكي

الصراط المستقيم الموصل إلى السعادة ، ورضا الباري تعالى، وقوله تعالى : (وَقَالَتْ أُولَاهُمْ لِأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ) (سورة الأعراف : 39) . جاء الخطاب الإلهي مبنياً على القهر والإذلال ؛ لان القادة والإتباع كانوا ضالين ومضلين ، وبذلك رسم الطباق الاسمي صورة واضحة للنفس المنحرفة التي تطلب من الله سبحانه وتعالى أن يضاف لرؤسائهم العذاب بغية التخفيف عن أنفسهم (ظ : البستاني : 1983: 22/2) .

وقوله تعالى ((إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ)) (سورة الأعراف : 54) . في الآية الكريمة احتج الله سبحانه وتعالى على الكفار مبرهناً في ذلك قدرته ، وانه لا معبود سواه وذلك من خلال المدة التي تم بها خلق السموات والأرض ورتبها في أيام الأسبوع ، فبدأ بالأحد ، والاثنين ، والثلاثاء ، والأربعاء ، ثم الخميس والجمعة ، إذ اجتمع له الخلق في يوم الجمعة ؛ لذلك سمي بالجمعة (ظ : الطبرسي :2005 : 268/4) . هذا التقابل الضدي بين الليل والنهار ، والشمس والقمر ، يبين لنا أن التضاد لا يستقر على نوع محدد من الدلالات ؛ وذلك من خلال تشكيله اللفظي المتعدد ، وبذلك نلحظ إن الكشف الدلالي يتجه باتجاه التأويل عندما تكون ضبابية في المعنى ، وأخرى في التفكيك لتشريح رمزية المعنى الذي قد ينصرف إلى الدوال ؛

لوجود مدلولات مهيمنة على النص ، وقد أشار إلى ذلك محمود البستاني في قوله ((عندما يأتي مقطع خاص يخترق سلسلة الموضوعات ، فهذا يعني أهميته أولاً .... وكونه متسماً بدلالاته)) (البستاني :2005 :32/2) . التي تؤكد أن الله تعالى ((خلق السموات والأرض جميعاً ثم دبر أمرها بالنظام الأحسن الجاري فيها الرابط بينها جميعاً)) (الطباطبائي : 1983: 196/8) . أي بين خلق السموات والأرض والاستواء عليها ، وإدراك النهار الليل ، وتسخير النجوم والشمس والقمر مع انصراف هذه الأضداد بحسب إرادته تعالى .

وقوله تعالى : ((قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ)) (سورة الرعد : 16) . والمراد في هذه الآية الموازنة بين العاقل والجاهل من خلال الثنائية الضدية للاسمين الأعمى والبصير ، كما أن من المسلم به أن الأعمى لا يساوي البصير وفي نفس الآية أن الظلمة لا تساوي النور ، وبهذه الحجة لا يساوي العالم بها (ظ: القاسمي :د.ت : 2446) . وقوله تعالى ((وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّار)) (سورة الرعد: 22) .

أي يدفعون السيئة بالحسنة إذ يجازون الإساءة بالإحسان كالأذى بالصبر ، والجهل بالحلم ، أو يتبعون السيئة الحسنة فتمحوها (ظ: القاسمي :د.ت :2447) في هذه الآية اجتمع الشيء وضده من خلال الطباق اللغوي إذ تضمن اسمين (الحسنة والسيئة) .

وقوله تعالى : ((ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّى عَفَوْا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ)) (سورة الأعراف : 59) . أشار الله عز وجل إلى حقيقة واضحة وهي نزول النعم والنقم ' لان أي امة من هذه الأمم المجتمعة عندما تنحرف عن الطريق الصحيح ينعكس عليها

هذا الأمر السلبي السيء . أما الأمم المستقيمة فتحيط بها الرفاهية المملؤة بالسعادة . على العكس من الأمم المنحرفة التي تعم عليها المحن التي تأتي بغتةً وهو لا يشعرون (ظ: الطباطبائي :1983: 96/8) .

هذا التضاد الحاصل بين السيئة والحسنة يقابلها تضاد بين السراء والضراء الذي يخلق لذة عقلية عند المتلقي التي تزيد من تفاؤله النفسي أمام النص من خلال استنطاقه . وعنئد ترسخ المعنى عند المخاطب من خلال استنطاقه للنص وهي الغاية في النص ، وبذلك تحقق الهدف من الخطاب ' لان البنية النصية وظفت نفسها في إضافة حزمة دلالية ذات قوة تأثيرية للمعاني المتضادة .

وفي قوله تعالى : ((فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ)) (سورة الأعراف : 13) . هنا دلت الحسنة على الرخاء والسلامة والعافية وسعة الرزق التي عندما تحل عليهم يقولون إنا نستحق ذلك ، ولم يعلموا أنها من عند الله جل جلاله فيشكرون ، أما دلالة السيئة فالمقصود بها الجور والبلاء والقحط ، وقلة الرزق (ظ: الزمخشري :2003: 139/2 ، وظ: الطباطبائي : 226/8) . هذا التضاد بين السيئة والحسنة هو تضاد في المعاني التي بدورها قد خلقت تنوعاً فكرياً بين النص والمتلقي الذي يبحث عن دلالة عميقة في الخطاب .

- الطباق السياقي :

لم تنتفِ حاجة البلاغيون برصد الثنائية الضدية ، التي اعتاد أن يقدمها المعجم اللغوي ، بل اتسع هذا الرصد إلى نطاق أرحب تمثل رصد الثنائية التي يفرزها السياق ، وإن لم تتحقق فيها حقيقة التضاد إذ يتمثل هذا النوع من الطباق ((بالجمع بين معنيين يتعلق احدهما بما يقابل الآخر نوع تعلق مثل السببية واللزوم)) (الطرابلسي : 1981: 102) . وقد جاء في قوله تعالى : ((فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ)) (سورة الأعراف : 64) . إذ ورد التضاد السياقي بين

أنجيناه أي خلصناه ، وبين أغرقنا أي أهلكنا ، وقد نجى المؤمن بفضل إيمانه ، وهلك المشرك لكذبه ، هذا التقابل بين المتضادين في المعنى أسهم في توضيح الفرق بين ما يكسب المؤمن وما يصيب المشرك ، وعليه أصبحت الصورة واضحة بفضل التضاد الذي أفضى إلى فتح آفاق دلالية للنص رسخت المعنى في ذهن المتلقي بوضوح . وقد يتوضح المعنى من خلال المخطط الآتي :

نجينا – أغرقنا

/

خلصنا - أهلكنا

وقد ورد الطباق السياقي في قوله تعالى : ((فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ)) (سورة الأعراف :85) . هذه المقارنة بين الإيفاء بالكيل وبين بخس الناس حقوقهم ، وكذلك بين الفساد في الأرض وإصلاحها وضحت الصورة للمتلقي ، بأنه تضاد بين السلوك القويم للمؤمن المتصف بإيفاء الكيل ، وبين بخس الحقوق والانحراف ، ثم عززه بتضاد آخر هو النهي عن الفساد في الأرض والركون إلى الإصلاح الذي هو الخط القويم للمؤمن ، هذا التركيز على التضاد وتنوعه قد ساعد في تقريب الدلالة وتوضيحها مع بروز الفارق في المعاني المتقابلة .

وقد جاء الطباق السياقي في قوله تعالى : ((عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ)) (سورة الأعراف : 9) . والمراد في الآية الكريمة بعالم الغيب والشهادة ما غاب وما حضر أو ما شوهد ، والغائب ما غاب عن الحس ، والشاهد : الحاضر المشاهد إذ يتجسد المعنى من خلال المخطط :

الغيب – الشهادة

/

الاختفاء - الحضور

ومن الجدير بالذكر أن الإكثار من المعاني المتضادة في النص ((يقوي تصوير الحركة ، والتوتر فيه يُزيد جوانبها تدقيقاً)) (الطرابلسي : 1981: 113) . فمن خلال النظر والتمعن في دلالة النص المتضاد يستحضر المتلقي معان وألفاظ غابت فيه .

وقوله تعالى : ((والَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ)) (سورة الرعد :15) . فالمعنى المتولد من خلال الألفاظ المتضادة في قوله (خوفا) يستحضر في الذهن معنى الامتناع ، وفي (الطمع) يستحضر معنى الرغبة فالخوف لا يقابل الطمع لكن الإرتداد إلى البنية المثالية يحقق نوعاً من التضاد بين (الخوف – والطمع) فالاعتماد على بنية العمق كان الأساس الأول في خلق شكل تعبيري جديد إلى بنية التقابل .

ومثل ذلك في قوله تعالى : ((وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ)) (سورة الرعد : 15) . فالمعنى المتولد من خلال الألفاظ المتضادة في قوله (طوعا) يستحضر في الذهن معنى الرغبة ، وفي (الكره) يستحضر معنى عدم الرغبة فالطوع لا يقابل الكره ولكن عمق الدلالة المتولدة في السياق تحيل الى معان متضادة في الآية الكريمة .

وقوله تعالى : ((اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ)) (سورة الرعد : 26) . والمراد في الآية الكريمة (يبسط الرزق) أي يوسعه ، (ويقدر) أي يضيقه أو يعطي بقدر الكفاية فقط ، فالمعروف أن التوسع يقابله الضيق في الضدية لكن الدفقة الدلالية قد أفرغت النص من ضديته فطابع المفارقة في الطباق يجعل النص أكثر تأثيراً ،

إذ يخلق لنا تصوراً عن كيفية توليد المتآلف من المتعارض والمنسجم من المتقابل (نصر:1984: 87) . فالتضاد منح الآية قوة نفسية لا يمنحها أسلوب آخر من أساليب التكرار ؛ وذلك لأنَّ حضور النقيض يستدعي بالضرورة حضور نقيضهُ غياباً كما بينا ، مما يعطي للتضاد طبيعة تكرارية من خلال اختبار حركة الذهن باستحضار المتضادات فضلاً عن ذلك فإنهُ يمنح إمكانية واسعة لأداء المعنى ، فيعمق الدلالة ويقويها ، فالرجوع للسياق التأويلي يُحتم استكناه أبعادها الدلالية الأخرى والتي تُقرب الصورة إذ أَنَّ التخالف السطحي والعميق يُبين بنية الرجوع والحدود المعرفية له ، أي الرجوع من آخر الآية إلى أولها لتأويل الدلالة المتضادة ؛ لكون الشكل التجريدي هو إثبات المعنى ومن ثم إلغاؤهُ ، فلا يكون إلغاء الطرف الأول ناجماً عن خطأ جاء تصحيحهُ في الطرف الثاني ، بل لابد من حضور إضافة عميقة على المدلول الثاني في أخرهِ "(ظ:عبد المطلب : 359-360) .وهذه الضدية تنتج في الآية الكريمة ويشعر بها المتلقي ويدركها .

الخاتـــــــــــمة

من خلال ما تبين نجد أن البحث قد افرز القيمة البلاغية لفن الطباق لا سيما اللغوي منه المتمثل بتقابل الألفاظ ، والسياقي الذي يستنبط من خلال التركيز في المعاني المتضادة التي يحددها السياق بشكل كامل في الآيات الكريمة وما يولده ذلك من تأثير في المتلقي من خلال الإضاءة الدلالية المتكونة جراء المعاني ، إذ يستبطن جوهر الكلمات ومعانيها التي أصبحت من اهتمامات علم الدلالة الحديث ، إذ يقوم بمحاكاة الاستجابات الذهنية للقارئ مع تجمع استقطابي للمعاني المتضادة مع معالجات الجانب الدلالي للنص فهو يسهم في هيكلة الجمال اللفظي ، وبذلك لا يقطن في زاوية المحسنات المعنوية فقط، بل يأخذ جانباً من المحسنات اللفظية ، زد على ذلك فهو احد مرتكزات الجانب الجمالي الذي بدوره يخلق لذة مؤثرة لدى المتلقي فتثير في ذلك حاجاته النفسية ؛ لما يولده من موقفاً معرفياً في دائرة التلقي ؛ لكونه يكشف القيم التعبيرية للنص في كافة مستوياته من خلال زيادة القدرة على الفهم .

ثبت المصادر

1. القران الكريم .
2. ابن الأثير : المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، القاهرة ، 1358ه .
3. ابن السكيت : إصلاح المنطق ، تح : احمد محمد شاكر ، وعبد السلام هارون ، دار المعارف ، ط4 ، مصر ، 1375ه- 1976م .
4. ابن المعتز : البديع ، تح : اغناطوس تشوفسكي ، مكتبة المثنى ، بغداد ، (د.ت) .
5. ابن سيدة : المحكم والمحيط الأعظم في اللغة : علي بن اسماعيل، تح : مراد كاظم ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ،ط1 ، القاهرة ، 1390ه – 1970م .
6. ابن فارس : معجم مقاييس اللغة، تح : محمد عبد السلام هارون ، ط2 ، مطبعة البابي الحلبي ، القاهرة ، 1390ه – 1970م .
7. ابن منظور : لسان العرب : أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، دار صادر ، بيروت ، د. ت .
8. باطاهر : الإيجاز لأسرار كتاب الطراز في علوم حقائق الاعجاز : تح : بن عيسى ، ط1 ، دار المدار الإسلامي ، بيروت ، 2007م .
9. البستاني : التفسير البنائي للقران الكريم : محمود ، ط5 ، مؤسسة الاعلمي ، بيروت ، 1403ه – 1983م .

10.بسيوني : من بلاغة النظم القرآني : د. عبد الفتاح ، ط1 ، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع ، القاهرة ، 1431ه – 2010م .
11.الجرجاني : التعريفات : الشريف علي بن محمد ، القاهرة ، 1357ه – 1938م.
12.الجرجاني : دلائل الاعجاز : عبد القاهر، تح: محمد محمود شاكر ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، 1984م .
13.الحلبي : حسن التوسل إلى صناعة الترسل : شهاب الدين محمود بن سليمان ، تح : أكرم عثمان يوسف ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، 1400ه – 1980م .
14.الزركشي : البرهان في علوم القران : بدر الدين محمد بن عبد الله ، تح : محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط3 ، دار الفكر ، بيروت ، 1400ه – 1980م .
15.الزمخشري : تفسير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل : أبو القاسم جار الله ، رتبه وضبطه : محمد عبد السلام هارون ، ط3 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1424ه – 2003 م .
16.السيوطي : الإتقان في علوم القران : جلال الدين عبد الرحمن ، تح : محمد ابو الفضل إبراهيم ، مكتبة فخر الدين ، (د.ت) .
17.الطباطبائي : الميزان في تفسير القران : محمد حسين ، ط5 ، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ، بيروت ، 1403ه – 1983م .
18.الطبرسي : مجمع البيان في تفسير القران : الفضل بن الحسن ، تح : لجنة من العلماء والمحققين ، ط2 ، مؤسسة الاعلمي ، بيروت ، 1425ه – 2005م .
19.الطرابلسي : خصائص الأسلوب في الشوقيات : د. محمد الهادي ، منشورات الجامعة التونسية ، تونس ، 1981م .
20.الطيبي : التبيان في البيان : شرف الدين الحسين بن محمد ، تح : د. توفيق الفيل و عبد اللطيف لطف الله ، ط1 ، مطبعة ذات السلاسل ، الكويت ، 1406ه – 1986م .
21.عبد المطلب : البلاغة العربية قراءة أخرى : د. محمد، ط1 ، الشركة المصرية العالمية للنشر ، لونجمان ، لبنان ، 1997م .
22.عتيق : علم البديع : عبد العزيز ، دار الآفاق العربية ، القاهرة ، 1434ه – 2004م .
23.العسكري : كتاب الصناعتين الكتابة والشعر : أبو هلال الحسن بن عبد الله بن مسهل ، تحـ : علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، ط2 ، دار الفكر العربي ، د . ت ، 297 .
24.الغذامي : المشاكلة والاختلاف : عبد الله ، المركز الثقافي العربي : ط2 ، 1994م .

25.الغذامي : مفتاح العلوم للسكاكي . دار الكتب العلمي ، بيروت ، د.ت .
26.القاسمي : تفسير القاسمي : محمد جمال الدين ، دار الفكر ، بيروت ، د.ت .
27. القران الكريم .
28.القرشي : تحولات النقد وحركة النص ، علي سرحان ، النادي الأدبي بحائل ، العربية السعودية ، ط1 ، 2009م .
29.القرشي : تحولات النقد وحركة النص : عالي سرحان ، ط1 ، النادي الادبي بحائل ، المملكة العربية السعودية ، 2009م .
30.المدني : صدر الدين علي بن احمد : أنوار الربيع في أنواع البديع ، ، تح : شاكر هادي شاكر ، ط1 ، مطبعة النعمان ، النجف الاشرف ، 1388ه – 1968م .
31.مطلوب : معجم المصطلحات البلاغية وتطورها : د. احمد ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، 1407ه – 1987م .
32.نصر : د. عاطف جودة ، البديع في تراثنا الشعري (دراسة تحليلية) ، بحث ضمن مجلة فصول النقدي الأدبي ، العدد الثاني ، المجلد الرابع ، 1984م .

References

1- AlBadea fi TorathinaAlsheari (analytical study), Dr. AtifJawda Nasr, a research in Fosol AlNaqdiAlAdabi Magazine, 2nd issue, 4th volume, 1984.
2- AlBadea: Ibn AlMotaz, edited: Ignatius Chuvsky, Al Mothana library, Baghdad, date unknown.
3- Al Balagha Al ArabeaQiraaOkhra: Dr. Muhammed Abdulmotalib, 1st edition, International Egyptian company for publishing, Longman, Lebanon, 1997.
4- Al Borhan fi Olom Al Quran: Badr Al Din Muhammed Ben Abdullah Al Zarqashi, edited: Muhammed Abu Al Fadhl Ibrahim, 3rd edition, Dar Al Fikr, Beirut, 1400 h – 1980.
5- Al EjazLeasrarKitab Al Teraz fi OlomHaqaeq Al Eajaz: edited: Ben Essa Bataher, 1st edition, Dar AlMadar AlIslamy, Beirut, 2007.
6- Al Itiqan fi Oulom Al Quran: Jalal Al din Abdulrahman Al Sayoti, edited: Muhammed Abu Al Fadhl Ibrahim, Fakhr Al Din Library, date unknown.

7- Al Mizan fi Tafseer Al Quran: Muhammed Hussein Al Tabatabaai, 5th edition, Al Aalami Foundation for Publishing, Beirut, 1403 h – 1983.

8- Al Mohkamwa Al Mohit Al Aadham fi Al Logha: Ali ben Ismail Ibn Saieda, edited: Murad Kadhum, Mustafa Al Babi Al Halabi press, 1st edition, Cairo, 1390 h – 1970.

9- Al Moshakalawa Al Ikhtilaf: Abdullah Al Ghuthami, Arabian Cultural Centre: 2nd edition, 1994.

10- Al Taarifat: AL Sharif Ali ben Muhammed Al Jerjani, Cairo, 1357 h – 1938.

11- Al Tafsir Al Binaililquran Al Kareem: Mahmoud Al Bostani, 5th edition, Al Alami Foundation, Beirut, 1403 h – 1983.

12- Al Tebian fi Al Baian: Sharaf Al Din Al Hussein ben Muhammed Al Taibi, edited: Dr. Tawfiq Al Feel AbdullatifLutfallah, 1st edition, That Al Salasil press, Kuwait, 1406 h – 1986.

13- Almathal Al Saair fi Adab Al Katibwa Al Shaair: Ibn Al Atheer, Cairo, 1358 h.

14- Anwar Al Rabea fi Anwaa Al Badea: Sadr al Din Ali Ben Ahmed AlMadani, edited: Shaker Hadi Shaker, 1st edition, Al Noman Press, Najaf, 1388 h – 1968.

15- Dalail Al Iejaz: Abdulqahir Al Jerjani, edited: Muhammed Mahmoud Shakir, Al Khanachi Library, Cairo, 1984.

16- Hasn Al TawassulelaSinaat Al Tarassul: Shihab Al din Mahmoud ben Suleiman Al Halaby, edited: Akram Othman Yusuf, Al Huria House for Publishing, Baghdad, 1400 h – 1980.

17- Holy Qur'an

18- Ilm Al Badea: AbdulazizAtiq, Dar Al Afaq Al Arabia, Cairo, 1434 h – 2004.

19- Islah Al Mantiq: Ibn Al Saqeet, edited: Ahmed Mohammed shaker &Abdulsalam Haroon, Darelmaref, 4th edition, Egypt, 1375 h – 1976.

20- Khasais Al Islob fi Al Shawqiat: Muhammed Al Hadi Al Tarabulsi, Tunisian University publications, 1981.

21- Khasais Al Islob fi Al Shawqiat: Muhammed Al Hadi Al Tarabulsi, Tunisian University publications, 1981.

22- Kitab Al Sinaatain Al Kitabawa Al Shir: Abu Hilal Al Hassan ben Abdullah ben Mushel Al Askari, edited: Ali Muhammed Al Bajawi& Muhammed Abu Al Fadhl Ibrahim, 2nd edition, Dar Al Fikr Al Arabi, date unknown 297.

23- Lisan Al Arab: Abu Al Fadhl Jamal Al Din Muhammed ben Makram ben Mandhour, Dar Sader, Beirut, date unknown.

24- Min Balghat Al Nudhom Al Qurani: Dr. Abdelfattah Basioni, 1st edition, Al Mokhtar Foundation Press, Cairo, 1431 h – 2010.

25- Moftah Al OlomLilsakaki: Scientific House for books, Beirut, date unknown.

26- Mojam Al Mostalahat Al BalaghiawaTatawrha: Dr. Ahmed Matlob, Iraqi Academy of Sciences Press, 1407 h – 1987.

27- Mojam Maqaes Al Logha: Ibn Faris, edited: Muhammed Abdulsalam Haroon, 2nd edition, Al Babi Al Halabi Press, Cairo, 1390 h – 1970.

28- Mojamaa Al Baian fi Tafseer Al Quran: Al Fadhl ben Al Hassan Al Tobrosi, edited: a group of scientists and editors, 2nd edition, Al Aalami Foundation, Beirut, 1425 h – 2005

29- Tafseer Al Qasimi: Muhammed Jamal Al din Al Qasimi, Dar Al Fikr, Beirut, date unknown.

30- TafseerAlkeshaf an HaqaiqGhawamidh Al TanzeelwaOyon Al Aqaweel fi Wojoh Al Taweel: Abu Al Qasim Jar Allah Al Zamakhshari, edited: Muhammed Abdulsalam Haroon, 3rd edition, House of Scientific books, Beirut, 1424 h – 2003.

31- Tahowalat Al NaqdwaHarakat Al Nas: Ali Sarhan Al Qurashi, 1st edition, Literature Club, Ha'il, Kingdom of Saudi Arabia, 2009.

32- Tahowlat Al naqdwaHarakat Al Nas, Ali Sarhan Al Qurashi, Literature Club in Ha'il, Saudi Arabia, 1st edition, 2009.